يطرح عشرات الاسئلة بعد الفراغ من مشاهدته

فيلم «الجنة الآن»: الموت في هدوء.. الموت في صخب!

دينا وادي*

■ يضع المشهد الأخير في فيلم «الجنة الآن» لمخرجه هاني أبو أسعد المشاهد وسط عدة تساؤلات، فهذه عين «سعيد» أحد بطلي الفيلم وقد أصبحت هي البطل الوحيد في هذا المشهد حين سلط عليها المخرج الكاميرا في Close up قبل أن تختفي تماماً وسط شاشة بيضاء تشير إلى حالة العدمية التي وصل إليها أو كان يعيش فيها «سعيد»، الشاب الفلسطيني ذو الملامح البريئة.

الشاشة البيضاء، وتشبث المشاهد بمقعده في انتظار لحظة التفجير وتناثر الأشلاء، ولحظات الصمت التي يحياها سعيد كجزء من شخصيته، كل هذه أسئلة بلا أجوبة تصطحب المشاهد إلى خارج قاعة العرض، وربما إلى سرير نومه، مفكرا في سعيد وفي رحلة بحثه عن الإجابة وصولا إلى العدم الذي حاول مقاومته بالبحث عن فكرة الاستشهاد كبديل وحيد لهاجس العدمية، طارحا سؤالا جدليا في الوقت ذاته: هل أفلح؟.

يناقش المخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد في فيلمه «الجنة الآن» على مدى 90 دقيقة وجهة نظر خاصة ومختلفة عن الإنسان الفلسطيني الذي يفكر في تنفيذ عملية استشهادية بهدف الوصول إلى الجنة التي يحلم بها في وطنه الذي سلبه الاحتلال إياه، وسلب معه حلم المواطن الفلسطيني الذي وصل إلى لا شيء، عدا شيء واحد هو أن يقدم جسده فداءً لفكره حتى يشعر أن له هدفا أو دعنا نقول حلما يسعى له ويعيش لحظات قليلة، هذه اللحظات التي عاشها بطلا الفيلم خالد وسعيد وشعرا أنهما يفعلان شيئاً هاماً لهدف محدد هو الوصول إلى الجنة.

وبعيداً عن حياة الأبطال الذين تم تدريبهم منذ ولادتهم حتى الوصول إلى عمر معين يكون هو خط النهاية بالنسبة لهم في عملية استشهادية تصيب قلب العدو، وبعيداً عن مشاهد القصف والقتل والدمار والدماء والجثث المتناثرة في كل مكان وبدون أي مؤثرات موسيقية يعيش من خلالها المشاهد حالة وقتية أثناء مشاهدة الفيلم فقط أعاد «أبو أسعد» بناء دراما الحياة الواقعية التي يعيشها بعض الشباب الفلسطيني في الداخل بلغة سينمائية لا تخلو من الرمزية والكوميديا السوداء التي جعلت الجمهور يضحك من هم يراه، في ثنائية فنية ممتعة، يطرحها أبو أسعد عبر عدة مستويات، نراها جميعا متضافرة، البكاء والضحك في بوتقة واحدة، الفرح والترح، الهدوء والصخب، الحياة والموت، أسئلة فلسفية تلك التي يطرحها المؤلف، أم تراها عبثية أكثر؟.

فالموت لم يعد متروكاً للقدر كما هو الحال لدى جميع البشر في الأرض، بل أصبح قرارا، بيد لشخص / الفلسطيني أن يتخذه، وهو هنا يكسر أحد التابوهات التي تقيد الحياة كلها بما يتبعها: الموت / الغيبيات /السمعيات / الخوف، وهو إذ يفعل هذا فإنه ينتصر على نفسه، كمقدمة لنصره على الآخر.

ويتنفس الفلسطيني أنفاسه الأخيرة بإرادته هو هذه المرة، يرى الموت على بعد أمتار منه، لكنه هو من يتحكم في الأمر، أية حرية هذه، وهل يوجد أفضل من هذه حياة؟

يتنفس البطل أنفاسه الأخيرة، بطريقة عادية جدا، وكأنه لا ينتوي فعل شيء، لتحتبس في المقابل أنفاس المشاهد، يتنفس البطل أنفاسه التي تعقبها هاني أبو أسعد ليوصلها للمتلقي حتى يعرف كيف تتنفس الشخصية الاستشهادية في لحظاتها الحاسمة والأخيرة قبل إصابة العدو.

فيلم «الجنة الآن» عبارة عن حياة شابين فلسطينيين من الطبقة العاملة الكادحة خلال 24 ساعة فقط قبل تنفيذهما عملية استشهادية مشتركة.

يبدأ الفيلم بمشهد لبطلي الفيلم خالد وسعيد ـ اللذين أديا دوريهما ببراعة فنية «قيس ناشف وعلي سليمان» ـ واللذين يعملان في ورشة لتصليح السيارات تطل على تلة في مدينة نابلس. ويصلحان صندوق سيارة ليصل صاحبها بعد انتهائهما من إصلاحه ليدخل معهما في مشادة كلامية وجدل يجافي الحقيقة البصرية التي يراها خالد وسعيد والمشاهد معهم بأن الصندوق الذي ركباه لسيارته في حالة اعوجاج لا يراها سواه ويصر صاحب السيارة على وجهة نظره حتى يفقد الشاب خالد أعصابه ويأخذ مطرقة ثقيلة يهوي بها على المكان حتى يصل لمرحلة الاعوجاج بالفعل، ويقول له «الآن أصبح الصندوق سوياً» وبينما المشادة الكلامية بين «خالد» الشخصية الصدامية الثورية التي تبحث عن ذاتها المفقودة أمام صاحب السيارة الذي يصر على وجهة نظره التي يصيبها اعوجاج ظهر «سعيد» مستسلماً موضوعاً لكن وراء صمته غيظاً وأملاً مفقوداً يشكلان نهاية الفيلم.

بهذا المشهد يؤسس «أبو أسعد» الفكرة الرئيسية للفيلم بصورة رمزية لما يدور داخل المجتمع الفلسطيني من صدام ناتج عن أن البعض لا زال يصر على رؤية أشد الحقائق وضوحاً بالمقلوب فيصبح القاتل ضحية والمقتول هو المتهم.

يحاول «خالد وسعيد» من خلال حوارهما البحث عن مشروع مشترك له هدف يعملان من أجله سوياً ويقرران الاشتراك في عملية استشهادية واحدة لتتحرك الكاميرا إلى مدينة نابلس من أعلى ليرى المشاهد جمال الجنة التي يسعى إليها خالد وسعيد.

تظهر سهى «لبنى الزبال» ابنة أحد المناضلين الكبار على أحد المعابر الإسرائيلية في لحظات صمت ونظرات متحدية للجندي الإسرائيلي الذي قام بتمريرها بسهولة ودون اعتراض أو ذلك عكس ما يحدث في الواقع لتدخل إلى وطنها قادمة من أحد بلاد المغرب التي عاشت بها طفولتها مما أثر على لهجتها الفلسطينية حال معظم الفلسطينيين الذين يعيشون خارج الوطن. وتذهب «سهى» لورشة خالد وسعيد لتسأل عن سيارتها التي تركتها للإصلاح لعدة شهور وتسأل سعيد عنها ويتبادلان نظرات تظهر الإعجاب المتبادل بينهما ولكن يختلف لدى كل منهما لتكشف أحداث الفيلم أن «سعيد» ربما يكون سبب إعجابه بـ«سهى» أن والدها هو أحد أبطال المقاومة والنضال الفلسطيني بينما والده كان عميلاً للعدو وأعدمه نشطاء فلسطينيون.

وتصل اللحظة الحاسمة عندما يظهر «جمال» القائد مجهول الفصيل إلا من بعض الدلالات مثل اللحية وطريقة ملبسه التي تشبه ظاهرياً قادة تنظيم «حماس» ليبلغهما بموافقة التنظيم عليهما كاستشهاديين في إحدى عمليات «تل أبيب».

ويصحب جمال «سعيد» إلى منزل عائلته بينما يصحب «خالد» شخص آخر من التنظيم ويبيتوا معهم الليلة لاصطحابهم في الصباح إلى مقر التنظيم ليتم تحضيرهم للعملية الاستشهادية بينما أفهم خالد وسعيد أسرتيهما أنهما بحثا عن فرص عمل داخل الأراضي المحتلة وأن جمال والشخص الآخر هما من وجدا لهم العمل.

وحاول «ابو أسعد» الوصول لتفاصيل دقيقة في دقائق معدودة من خلال المشاهد التي جمعت خالد وسعيد بأسرة كل منهما ليلة العملية في كيفية محاولة الأسرة الفلسطينية تدبير معيشتها، والأم الفلسطينية ـ متجسدة في أم سعيد ـ والتي تشعر بأن ولدها ليس ذاهباً إلى عمل بل إلى عملية ولكنها تجاري الأحداث ظاهرياً مصدقة حدسها الذي يظهر في نظرتها إلى ولدها بين لحظة وأخرى وكأنها نظرة أخيرة عليه.

أما والد «خالد» الذي فقد إحدى عينيه، فيسأل عضو التنظيم خالد عنها فيجيبه خالد ببساطة أن قوات الاحتلال وضعت والده في حالة اختيار بين فقد إحدى عينيه وبين أن يأخذوا ولده ـ خالد ـ فاختار أن يفقأوا إحدى عينيه وذلك أثناء إحدى مداهمات قوات الاحتلال لمنزلهم للبحث عن عائلة أحد الاستشهاديين في محاولة لفهم شخصية خالد الصدامية الثورية والرافضة للواقع الذي يعيشه.

يصل «خالد وسعيد» ليبدأ عملية التحضير للعملية الاستشهادية ويقف خالد ممسكاً بسلاحه أمام الكاميرا ليلقي خطاباً سياسياً من الدرجة الأولى يتميز ببلاغة خطابية عالية وبعد أن ينتهي يكتشف أن الكاميرا لم تصوره بسبب عطل مفاجئ، وعند الإعادة تتجه كاميرا المخرج لأعضاء التنظيم وهم يشاهدون خالد وفي حركة آلية تمتد يدهم للساندويتشات التي أعدتها والدة خالد له ويأكلون وكأنهم مشاهدون لفيلم سينمائي داخل بيوتهم ويقف في الخلفية «سعيد» الذي لا تتخلى نظرته عن مسحة الحزن وحالة العدم.

وربما يكون هذا البعض محزنا للبعض، ومثيرا لاستياء البعض الآخر ممن يرفضون أن ينظر إلى الفلسطينيين بهذه الصورة، بل قد يكون دافعا للبعض لاتهام المخرج بتبسيط العملية الاستشهادية والاستهتار بقادة وأعضاء فصائل المقاومة وأيضاً تبسيط شخصية الاستشهادي نفسه وإظهاره في صورة شخص ليس له هدف ولا يمتلك استراتيجية في تفكيره، مبررين ذلك بأن تمويل الفيلم غربي (فرنسي – ألماني – هولندي) وأن المخرج «هاني أبو أسعد» ضد العمليات الاستشهادية، لكن ما أراه هو أن هاني أبو أسعد فعل شيئا جميلا: هو أنه سعى إلى أنسنة العملية الاستشهادية، قال لكل أصحاب الدوجما، وأصحاب النظريات الكبرى، والأفكار الزاعقة أن هؤلاء بشر، فقد الموت بالنسبة إليهم معناه، لم يعد ذلك المارد الذي يخيفكم، لقد انتصروا عليه، هو إذن لم يؤنسن العملية الاستشهادية وحدها، ولا الفلسطيني وحده، بل أنسن الموت ذاته.

«أبو أسعد» أعلن بلغته السينمائية أنه من أقرب الشخصيات التي من الممكن أن تقوم بعمل عملية استشهادية بالرغم من أنه ضد هذه العمليات فكريا نتيجة الظلم والقهر الذي يعيشه الفلسطيني داخل وطنه.

من خلال صمت «سعيد» ونظرات «خالد» الحادة خلال وضع الأحزمة الناسفة على جسديهما سبقتهما عملية تغسيلهم وحلاقة الشعر وكأنهما عريسان يعدان نفسيهما لليلة العرس ويظهران ببذلتيهما الأنيقتين على مائدة الطعام ليعيد «هاني أبو أسعد» بناء لوحة «العشاء الأخير» في مشهد يتمتع بلغة سينمائية متقنة.

ويذهب الصديقان لعبور الحدود عند الأسلاك الشائكة وبينما ينتظرهما أحد العملاء الإسرائيليين لدى التنظيم الفلسطيني ليصل بهما إلى تل أبيب مكان العملية تفاجئهما دورية عسكرية إسرائيلية ويهربان بسرعة ويفلح خالد للعودة مرة أخرى بينما يتوه سعيد وتبدأ رحلة البحث عنه ويشك قادة الفصيل في مدى ولائه في حين يراهن خالد أن الخيانة ليست من أخلاق صديقه سعيد، ويلغي قائد الفصيل العملية والذي يظهر في شخصية ليس لمظهرها الخارجي علاقة بالتنظيمات والفصائل الإسلامية بل أقرب إلى فتح ليلغي «هاني أبو أسعد» مرة أخرى هوية التنظيم فيما عدا أنه فصيل فلسطيني فقط دون الانتماء لأي اتجاهات بعينها. ويذهب خالد للبحث عن سعيد والذي يحاول الذهاب وحده إلى تل أبيب لتنفيذ العملية وبينما هو واقف في إحدى محطات انتظار الاتوبيس وهو يضع يده على سلك حزام التفجير يجد طفلة إسرائيلية صغيرة تقف في مقدمة الاتوبيس فيتراجع عن الفكرة، ويشير إلى السائق بأن يذهب ويحاول العودة مرة أخرى ليجد المكان الذي يجتمع فيه أعضاء الفصيل خاليا تماماً وفي نفس الوقت تتابع الكاميرا خالدا الذي يسأل عن سعيد في كل الأماكن التي من الممكن أن يذهب إليها ويقابل «سهى» التي تشعر بأن هناك شيئاً ما يحدث وتعلم بالأمر الذي رفضته وتدخلت في معركة كلامية مع «خالد» حول مفهوم النضال ومحاربة المحتل وأنها معركة وجود وينتهي الجدل باقتناع خالد بوجهة نظر «سهى».

وفي هذه الأثناء يعثران على «سعيد» ويحاول خالد اقناعه بأن وجودهم في الحياة هو المقاومة الحقيقية للمحتل وليس الموت مع العدو في إشارة المخرج إلى أن هذه الفكرة توراتية وليست من تراثنا أو مفاهيمنا، ويلتقي خالد وسعيد بقادة الفصيل مرة أخرى ولكن هذه المرة تصحبهم «سهى» الرافضة للفكرة ويصلان إلى تل أبيب، وقبل أن ينزلا من السيارة التي صحبتهم للداخل يأمر «خالد» السائق بأن يعود مرة أخرى وأن العملية ألغيت بكاملها ويخدع سعيد خالد ويفتح باب السيارة ويذهب بعيداً بينما يبقى «خالد» الذي كانت لحظة بكائه أكثر تأثيراً في المتلقي من أي مشهد دماء وتفجيرات.

ينتهي الفيلم بالمشهد الأخير وسعيد داخل الحافلة وخلفه بعض الجنود الإسرائيليين في إشارة إلى أن العملية ليست في مدنيين بل عسكريين، وتقترب الكاميرا في مشهد النهاية من سعيد حتى تستقر على عينيه التي لا تخلو من تلك النظرة الحزينة المتسائلة وتقطع الصورة على بياض مفاجئ إشارة إلى الموت دون صوت أو صورة للانفجار، وتنزل الأسماء بتترات النهاية لتضع المشاهد في نفس حالة الحزن في عيني «سعيد» منتظراً لما سيحدث بعد ذلك.

ما سيحدث بعد ذلك، هو خروج المتلقي من الفيلم، وبداخله عشرات الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة، وإذا كانت وظيفة الفن الأولى هي طرح الأسئلة، فإن هذا الفيلم نجح حقا في أن يثير أسئلة حول نقاط لم تعد مثيرة لأي استفهام، حول معنى الموت والاستشهاد والنضال والحياة والوطن ذاته.

*ناقدة من فلسطين

لقطتان من فيلم «الجنة الآن»

روايات «الهلال» تدفع بـ«أولاد حارتنا» إلى المطبعة ومجدي الدقاق يرفض الحصول على الإذن من أي سلطة

القاهرة ـ «القدس العربي» من محمود قرني:

تحولات واسعة تشهدها مجلة «الهلال» ومطبوعاتها بعد أن اتخذ مجدي الدقاق رئيس التحرير الجديد عدة خطوات في سبيل تحريك مياهها الراكدة، في محاولة لربطها وثيقا بالحياة الثقافية. ففي خطوة جريئة وغير مسبوقة في مصر، أعلنت سلسلة روايات «الهلال» عن مفاجأة كبرى لقرائها وتصدر إعلان المفاجأة هذه المطبوعات لثلاثة أسابيع متصلة، وذلك دون إعلان عن طبيعة هذه المفاجأة، حتى تكشف الموضوع كاملا وأبان «الدقاق» عن انه دفع برواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» إلى المطبعة وهي الرواية التي صادرها الأزهر منذ نشرها على حلقات في الأهرام المصرية في عام 1959، ولم تتمكن ـ منذ هذا التاريخ ـ أي دار مصرية من طبعها بشكل علني، وإن استطاع بعض الناشرين طبع عدد من نسخها سرا وتوزيعها بنفس الطريقة أيضا رغم طباعتها خارج البلاد في أكثر من دولة عربية.

وكانت جريدة «الأهالي» قد بادرت بإفراد عدد خاص لنشر هذه الرواية إبان الاعتداء على نجيب محفوظ في محاولة لاغتياله في منتصف التسعينيات.

وفي تصريح لـ«القدس العربي» أكد رئيس تحرير مجلة «الهلال» مجدي الدقاق أن الرواية ستصدر دون أي انتظار لموافقة أي سلطة دينية، وذلك اعتمادا ـ حسبما قال ـ على مناخ الحريات الذي تعيش مصر في كنفه.

و قد نفى الدقاق ان يكون قد تلقى الضوء الأخضر من السلطة السياسية لنشر الرواية وإعادتها إلى النور، وصرح لأسبوعية «اخبار الأدب» أنه يحاول الاستفادة من المناخ الديمقراطي ويرفض موافقة المرجعية الدينية أو السياسية وقال إنه لا يجب العودة إلى أي سلطة عند نشر الإبداع وليس من حق أحد أن يحتكر حق الإبداع والنشر.

من ناحية أخرى أعلن الروائي نجيب محفوظ ـ في خطوة تحوطية كعادته ـ رفض نشر الرواية، بل أرسل إنذاراً رسميا على يد محضر لدار «الهلال» يرفض فيه نشر الرواية، وهي خطوة معتادة أقدم عليها نجيب محفوظ أكثر من مرة عند محاولات نشر الرواية حتى أنه أعلن عدم مسؤوليته عما قامت به جريدة «الأهالي» الناطقة بلسان حزب التجمع عندما أعادت طبع هذه الرواية كما سبق أن أشرنا، ويبرر محفوظ ذلك بأنه قبل بعدم طبع الرواية إلا بموافقة الأزهر، وهو طريق يسلكها الآن ناشره إبراهيم المعلم صاحب «دار الشروق» الذي أعلن اتخاذه الطريق القانوني لنشر الرواية عن طريق السعي للحصول على موافقة الأزهر، ويبدو انه طريق طويل ولن يكلل بالنجاح بسبب الموقف المتشدد للأزهر من الرواية حيث سبق له اتهامها بإفشاء الإلحاد والحض عليه والتقول على الأنبياء والرسالات السماوية المقدسة. ولا نعرف إلى متى يظل كاتب في حجم نجيب محفوظ محتاطا إلى هذا الحد غير المفهوم، وإلى متى يترك الناس تحترق بأتون القمع دفاعا عن أعماله بينما هو يتخذ ـ في كل مرة ـ خطوات تحوطية لحماية نفسه من أي صدام مع السلطة سواء كانت دينية أو سياسية، ونحن قطعا نحلم باليوم الذي يكون فيه نجيب محفوظ على رأس كتيبة من المثقفين المصريين ليعلن رأيه بصراحة في كل ما يحدث في مصر، لا ان يفعل ما يفعله كل مرة، مع احترامنا الكامل بالطبع لقيمته وقامته الإبداعية السامقتين.

من ناحية أخرى يثور عدد من التساؤلات في الوسط الثقافي المصري حول توقيت هذه الخطوة لا سيما وأنها تأتي بعد حصول حركة الإخوان المسلمين على ثمانية وثمانين مقعدا من مقاعد البرلمان المصري.. في الوقت الذي قال فيه أحد قيادييها إن الحركة تؤمن تماما بحرية الإبداع بل إن احتفالية عيد ميلاد نجيب محفوظ التي أقامها عدد من أصدقائه في بداية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الماضي شهدت تصريحات منفتحة بشدة للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح القيادي في الحركة الذي قدم قلما قيما هدية لنجيب محفوظ في دلالة لا تخفى على إيمان الحركة بحرية الإبداع وقد صرح أبو الفتوح آنئذ بأن الحركة لا تؤمن فحسب بحرية الإبداع بل هي تؤمن بقبول الحرية الإبداعية حتى لو كانت إلحادية وأن الطريقة الوحيدة للرد عليها هي مناقشتها وليس مصادرتها.

و قد تساءل الصحافي محمد شعير في أسبوعية «أخبار الأدب» عما إذا كان فخ نشر «أولاد حارتنا» يأتي كاختبار لموقف الإخوان المسلمين أو خطوة لشق صفهم وإحراجهم. على جانب آخر يؤكد البعض أن موقف مجدي الدقاق رئيس التحرير سيكون على المحك بهذه المجازفة وأنها خطوة لا شك شديدة الجرأة ولا بد من دعمها لكن هؤلاء أكدوا أن الدولة لن ترحم الدقاق وقد تضحي به إذا ما جاءت الأصداء سلبية أو أثار نشر الرواية لغطا لا تقدر على احتماله المؤسسة الرسمية.

وفي كل الحالات فإن المتوقع ـ حال نشر الرواية ـ ألا تكون الأصداء معادية بالصورة التي أدت إلى تدبير محاولة اغتيال محفوظ، فقد تغيرت ظروف كثيرة في السنوات العشر الماضية. حيث طرحت كل جماعات العنف التي كانت تتبنى حركة الاغتيالات كمبادرة لوقف العنف من داخل السجون المصرية، بل تم الإفراج عن الكثير من هذه القيادات، ورغم بقاء عدد كبير منهم داخل السجون إلا أنهم لا يزالوا على عهدهم بالتمسك بالمبادرة. من ناحية أخرى يتسع نطاق الجدل السياسي حول الإصلاح داخل مصر بما في ذلك مؤسسات كبرى محافظة الطابع مثل مؤسسة القضاء التي بدأت صداما حقيقيا مع السلطة التنفيذية من اجل الحصول على استقلالها الكامل، وفي الوقت نفسه فإن سجالات القوى السياسية المشروعة وغير المشروعة ينهض خطبها ـ في مجمله ـ على إرساء مزيد من الإصلاحات وإقرار تعددية سياسية واسعة النطاق، وهو ربما الأمر الذي يدفع بكل هذه التيارات إلى السكوت عن نشر الرواية بما في ذلك حركة الإخوان المسلمين التي لا شك فطنت إلى كرة النار التي تكمن خلف خطوة من هذا النوع.

وفي جميع الحالات فإن خطوة الدقاق تستحق الانتباه والتقدير والدعم بغض النظر عن موافقة نجيب محفوظ أو رفضه، فحقوقه المادية ليست محل خلاف وأظن أن دار «الهلال» قادرة على تعويضه عن ذلك، أما حقه في رفض أو قبول نشر إبداعاته فأظن أن المسألة لا يجب أن تلقى على عواهنها بل يجب النظر إليها في إطارها القانوني أولا ثم في إطارها السياسي والثقافي الذي يحمل معنى رمزيا إلى حد كبير. وإذا كان في استطاعة محفوظ أن يختار ناشره، وأن يحاسب ـ قانونيا ـ من يتعدى على حقوق ملكيته الفكرية، فإنه ـ في المقابل ـ لا يستطيع انتزاع هذه القيمة الرمزية لطبع الرواية في مصر باعتباره عملا يؤكد على تجاوز الإبداع منطقة مظلمة، ومنحه مساحات أوسع بهدف الوصول إلى قارئه في كل مكان وليس في مصر وحدها، وذلك في إطار معركة النخب المصرية في التأسيس الحقيقي لدولة ديمقراطية وفي إطار إضفاء مزيد من المرونة والمشروعية على مؤسسات الدولة المدنية، ونحن نعرف جميعا أن محفوظ هو أحد كبار الدعاة للدولة المدنية وقد قال هذا الرأي في أكثر لحظات مصر شمولية. من هنا يتم تفسير رفض نشر الرواية على انه عمل دعائي بالمعنى المباشر يهدف فقط إلى إقصائه بعيدا عن المساءلة المجتمعية والقانونية.

يذكر أن عدد شهر كانون الاول (ديسمبر) من مجلة «الهلال» جاء مكرسا للاحتفاء بالعيد الرابع والتسعين لميلاد محفوظ وهو العدد الذي تصدرته كلمة غير مسبوقة للرئيس مبارك يهنئ فيها محفوظ بعيد ميلاده ويحض فيها على حرية الإبداع ويؤكد على غياب فكر المصادرة إلا بحكم قضائي.

على جانب آخر بدأت سلسلة كتاب «الهلال» في إرساء تقليد جديد يهدف إلى تخصيص مساحة من مطبوعات السلسلة بشكل سنوي لنشر الشعر وقد صدر بالفعل أول ديوان ضمن السلسلة وكان من نصيب الشاعر حلمي سالم الذي قدم ديوانا جديدا هو «مدائح جلطة المخ» وقد كتب مقدمته الدكتور جابر عصفور تحت عنوان شعرية المرض، ويذكر أن هذه السلسلة بدأت في الصدور عام 1951 أي بعد السلسلة الروائية بعامين.

وقد قال الدقاق في تقديمه للديوان إنه سوف يسعى لأن تضم السلسلة جميع مبدعينا من كل الأجيال وخصوصا الشعراء الشباب الذين لم تتح لهم فرصة النشر لتكبر السلسلة بهم ولهم ـ حسب تعبيره ـ فإنه يطمح لأن تكون السلسلة لسان العرب في كل الأقطار والأجيال. وبهذه المناسبة نحب أن نهمس بكلمة مودة للكاتب والصحافي مجدي الدقاق الذي استشاط غضبا من تعليق «القدس» أثناء عرضها لعدد مجلة «الهلال» الصادر في الشهر الماضي، لا سيما في ما يتعلق بالموقف من مقدمته للعدد لا سيما في تفاؤلها المفرط حول أوضاع الديمقراطية والإصلاح في مصر.

وهمسة المودة هذه رسالة للدقاق نؤكد فيها عدة اعتبارات أولها أننا لا نصدر عن مصلحة خاصة أو موقف مسبق منه او من غيره ويظل المعيار الحاكم لرؤيتنا لواقع الثقافة المصرية هو مدى ما تحققه من مكاسب لبشرها وناسها وإنسانها أيا كان موقعهم أو مكانهم أو معتقدهم أو انتماؤهم السياسي، ومن هنا فإن أية ملاحظات نبديها لا تقصد أبدا إلى تجريح أحد ولا إلى محاولة إقصائه أو تهميشه.

أما الاعتبار الثاني فهو أننا قصدنا بهذه الملاحظة وغيرها الابتعاد بمجلة «الهلال» ـ بسبب طبيعتها التاريخية والفكرية ـ عن ساحة الجدل السياسي بمعناه اليومي والمباشر وترك أمر الدعاية السياسية أو الحزبية لأماكنها في الصحف السيارة، لأن هذه الأطروحات ـ غالبا ـ موضع خلاف واسعة، وربما لا يجمع عليها أبناء التيار السياسي الواحد، ونرجو ان ينظر الدقاق بعين الاعتبار لمثل هذه الملاحظة التي سوف تنجيه وتنجينا من سجالات فائضة ولجوجة، وأن يكرس مقدمته ـ إذا كان يصر على طابعها السياسي لمقال في الفكر السياسي المحض الذي يستهدف بناء تصورات أوسع نسبيا من التصورات الحزبية المؤطرة بالصراعات الصغيرة، فيما عدا ذلك فنحن ـ بالتأكيد ـ سوف نؤازر مجدي الدقاق وسوف ندافع عن مشروعه بكل ما نملك طالما ظل هذا المشروع بعيدا عن الرؤية الحزبية المحدودة وعن صراعات المصالح والمافيات الثقافية والهيمنة الفارغة لأسماء سكنت القبور رغم أنها لا تزال تسعى بين ظهرانينا، وطالما ظلت مجلة «الهلال» متمسكة ـ تحت إدارتها الجديدة ـ بدورها التاريخي كقلعة للثقافة الوطنية وتأصيل أبعادها، وأظن أن ما نطلبه ليس بالكثير كما أظن أن الدقاق سيتفق معي في كل ما طرحت، لكني أؤكد له أن الطريق صعب لكننا لن نكون ـ بحال من الأحوال ـ بين هذه المافيات التي تشن هجمات عشوائية هنا وهناك على نصيب من الكعكة، وأقول للدقاق ان مثل هؤلاء لن يعصمك منهم إلا صدق وموضوعية وأمانة ما تقدم عبر منبرك التاريخي وساعتها فقط ستكون خلفك كل الأقلام الشريفة.

اقبال كبير على مسرحية «اهلا يا بكوات» بطولة النجمين حسين فهمي وعزت العلايلي

القاهرة ـ من رياض ابو عواد:

تشهد مسرحية «اهلا يا بكوات» بطولة النجمين حسين فهمي وعزت العلايلي اقبالا كبيرا منذ بدء اعادة عرضها بعد توقف 16 عاما في القاهرة حيث يعزو المشاركون فيها هذا النجاح لتناولها موضوع استغلال الفكر الديني.

واكد الفنان احمد فؤاد سليم مستشار مدير المسرح القومي امس الخميس ان ادارة المسرح «اضطرت احيانا الى اعادة اعداد كبيرة من الذين حضروا لمشاهدة المسرحية بسبب امتلاء قاعات المسرح طوال ايام العرض» الذي بدأ منذ نحو اسبوعين.

وقال سليم انها «المرة الاولى منذ زمن تعود فيه قاعة المسرح القومي وشرفاته الى الامتلاء بالمتفرجين مما يبشر بعودة الزمن الجميل للمسرح الذي يعاني في السنوات الاخيرة من ضعف الاقبال عليه».

واشار الى ان وجود «نجمين في العمل الدرامي بحجم حسين فهمي وعزت العلايلي يشكل عامل جذب مهما لجمهور المتفرجين خصوصا وانهما نجحا قبل 16 عام حين عرضت المسرحية لاول مرة في جذب جمهور كبير واستطاع العرض ان يستمر لفترة طويلة وبنجاح كبير في حينها».

واعتبر ان من اسباب نجاح المسرحية «الفكرة الدرامية القائمة على نقل بطلي المسرحية من المستقبل الى الماضي».

واعتبر ايضا ان «ضيق المتفرجين من البرامج والمسلسلات التلفزيونية التي وقفت مع عوامل اخرى في حينه على سحب البساط من تحت قدمي المسرح» يمكن ان يفسر ايضا هذا الاقبال.

وتابع «غالبية البرامج التي يقدمها التلفزيون المصري والفضائيات العربية تبعث على الكآبة ولم تعد تملأ الفراغ الكامن في حياة الفرد والاسرة من الفئات المتعلمة والتي تشكل جمهورا اساسيا للمسرح».

تدور احداث المسرحية وهي من تأليف لينين الرملي حول قلق استاذ التاريخ محمود (عزت العلايلي) على مستقبل البلاد بعد ان قرأ كتابا يشير الى مستقبل مظلم تنعدم فيه فرص العمل للشباب وتزيد الاحتكارات وتصبح الدول الغنية اكثر غنى والدول الفقيرة اكثر فقرا ويصبح الانسان الالى متحكما في التطور بدلا من الانسان.

في المقابل يتخذ صديقه العالم والخبير العالمي برهان (حسين فهمي) موقفا لا مباليا مهتما فقط بمصالحه وعلاقاته العامة التي تحقق له هذه المصالح.

يحصل زلزال في المشهد الافتتاحي ليفيق البطلان على اثره ليجدا نفسيهما في زمان اخر يعود الى ما قبل الحملة الفرنسية على مصر بقليل زمن سيطرة المماليك بقيادة مراد بك (سامي مغاوري) على البلاد ويتعرض [illegible] العالم الى تملق ومحاباة زعيم المماليك والعيش بطريقتهم مسقطا امكانية التغيير محافظا على مصالحة التي يعيشها في زمن ليس زمنه.

واثر قيام تمرد ضد زعيم المماليك بتاثير من استاذ التاريخ يتم اعتقال هذا الاخير ويبدأ التحقيق معه حيث يسعى صديقه العالم الى اقناعه بالتنازل عن مبادئه من اجل ضمان حياته وعدم تعرضه قتله.

وفي لحظة تساوي الزمن القديم مع الزمن الحديث في قهر قوى التغيير من قبل الانظمة يظهر رئيس جهاز الامن (خليل مرسي) وهو يامر رجاله بالقاء القبض على العالم ايضا مشيرا الى انه تم تسجيل كل ماجرى بينهما رافعا بيده اسطوانة مضغوطة بما يحمله ذلك من سخرية العيش في الماضي والاستفادة من العالم لترسيخ الفكر الرجعي.

ويرى كاتب السيناريو محمد على ان عودة الجمهور الى المسرح بهذه الكثافة غير المتوقعة سببه «الاسقاط التاريخي الذي يستخدمه المؤلف لينين الرملي الذي يبرز». الية الفساد في تلك الفترة ونهب ثروات البلد ليعكس ما يحصل الان من فساد تحت راية التحالف بين القوى الطبقية المتحكمة وتحالف الاجهزة ورجال الاعمال الذين ابرزهم النظام».

يؤكد ذلك حسب رأي الناقدة الفنية علا الشافعي ان نجاح المسرح «لا بد ان يستند اساسا الى قيامه بالتعبير عن الحياة التي يعيشها المجتمع والاسهام في زيادة توعية الجمهور بواقع حياته فالجمهور اكثر ذكاء مما يتوهم اصحاب المسرح التجاري وهذا يبرز نجاح عادل امام في المسرح الذي يعمل على خلطة من السياسة والهم الاجتماعي». (اف ب)

معرض تراثي في أبوظبي لإظهار صمود المرأة الفلسطينية في وجه الاحتلال

أبوظبي ـ «القدس العربي» ـ من أحمد جمال المجايدة:

يشهد مسرح الاتحاد النسائي العام في أبوظبي حاليا ولمدة اسبوع معرض الصناعات التقليدية للمرأة الفلسطينية لاطلاع الجمهور الاماراتي والعربي والاجنبي علي صمود المرأة ومقاومتها لمحاولات الاقتلاع الاسرائيلية الرافضة للهوية الفلسطينية على مدى اكثر من نصف قرن.

وحضر حفل الافتتاح مديرة الاتحاد النسائي الاماراتي الدكتور خيسي العريدي، وعدد كبير من سيدات السلك الدبلوماسي العربي والاجنبي وناشطات الجاليات الفلسطينية لدى دولة الامارات.

وتدعم هذه الفعاليات مباشرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واللجنة الوطنية الفلسطينية، واللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم في الإمارات.

وقال الدكتور عوض علي صالح الأمين العام للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بالامارات في افتتاح المعرض: إن تنظيم هذا النشاط يأتي لتفعيل العمل العربي المشترك ومن خلال المبادرات المجتمعية وهيئات المجتمع المدني وإن كانت متواضعة، إلا أن قيمتها أنها تعمق التواصل الشعبي بدلاً من العمل من خلال القنوات الرسمية.

وأضاف: إن ما قامت به النسوة في القرى الفلسطينية ليس ترفاً ولا من باب عرض الفلكلور الفلسطيني أو لشغل وقت فراغهن وإنما وسيلة لمحاولة الكسب الشريف وتوفير بعض أسباب الدخل المادي لأطفالهن، حيث أن أكثرهن زوجات لشهداء أو أسرى أو زوجات لأزواج عاطلين عن العمل.

وأشار الى أن رمزية هذا العمل تتمثل في أنه وسيلة لمواجهة ظروف الاحتلال وما يحاول أن يفرضه على الأسر الفلسطينية من حصار للقبول بالأمر الواقع، ولذلك فإننا نثق في أن حضوركم هنا هو لدعم هذه الجهود والتي حرصت الجمعية القائمة عليه أن يكون اسمها جمعية السلام لأن ما تريده الأسرة الفلسطينية هو أن تعيش في سلام على أرضها وفي ظل دولتها المستقلة.

من جانبها أكدت هند الخالدي مدير عام اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم: حرصت لجنتنا الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم على تقديم الدعم والمساندة للمرأة الفلسطينية وبخاصة تلك التي تعيش في المناطق الريفية، لذلك كانت مبادرة لجنتنا الوطنية في دعم مشروع إحياء الصناعات التقليدية الوطنية الفلسطينية لجمعية بيت السلام للأمومة والطفولة، وكذلك للجمعيات النسائية الأخرى لتشجيع المرأة على تعزيز دورها في توفير لقمة العيش لأبنائها وعائلتها.

وقالت عزيزة علي عرمان رئيس جمعية (بيت السلام) في كلمة ألقاها عنها اسماعيل التلاوي مساعد الأمين العام للجنة الوطنية: إن الجمعية تريد أن توصل من خلال المعرض رسالة مفادها أن المرأة الفلسطينية تقف صامدة إلى جانب الرجل تشاركه همومه وصموده في وجه الاحتلال، على الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها شعبنا، وهي تعمل بجد واجتهاد وكرامة لتوفير لقمة العيش لأطفالها وأفراد أسرتها لتعزيز صمود شعبنا في مواجهة الاحتلال.